التعليم فى بريطانيا

تعليم البالغين — فكرة الكليات الشعبية

المقصود بتعليم البالغين هو تعليم الشبان الذين يبلغون العشرين أو أكثر من العمر (مثلا) على أن يشغل ذلك جزءا من الوقت يتفق مع العمل وكسب المعاش . وتتلقاه خاصة طبقة العمال رجالا ونساء لأنه مرغوب فيه منهم . وذلك هو النوع من تعليم الشبان الذى سنعنى به فى بحثنا ، ليس لأنه من الممكن وجود هذا التعليم فى أية طبقة ولا لأنه يصلح لجميع أعضاء المجتمع ولكن لوضوح الحاجة الشديدة اليه والرغبة المؤكدة من جانب أعضاء أكبر طبقة تملك الفرصة الصغرى للحصول على تعليم تام فى شبابها . ولذلك فإنه من الحق ومن اللائق أن نقدر حاجاتهم ورغباتهم وما اتخذ وما يجب اتخاذه من استعداد يوافق هذه الحاجات والرغبات .

ولتعليم البالغين تاريخ قديم . وهو فى الحقيقة أقدم بخلاف ما يظهر له حتى من التعليم الأولى ،

فمنذ ١٨٢٣ بدأ الدكتور بيركبك حركة إنشاء معاهد ميكانيكية Mechanics Institutes عددها فى سنة ١٨٥٠ : ٦٠٠ معهدا تضم اليها ما يزيد عن ٦٠٠,٠٠٠ عضو فى المراكز المدنية بانجلترا . وبعد ذلك بقليل بدأت حركة أخرى قام بها كنتان هوج Quintin Hogg الذى أسس فى سنة ١٨٨١ مدرسة الفنون الصناعيه بشارع ريجنت Regent Steeet Qolytcohnic والتى اتخذت نموذجا لعدد آخر من المعاهد التى أنشئت بعد ذلك فى لندن والمدن الأخرى .

وهاتان الحركتان كما تدل عليه كلمتا ميكانيكا وفنون صناعية كانتا تتعلقان رأسا بالصناعة والعلوم التطبيقية كما كان طبيعيا فى العصر الفكتورى Victorian Age .

ولكن تعليم البالغين فى مراحل متتابعة كان حركة واسعة الإنتشار والتعمق . ففى العشر سنوات الأولى من القرن الحالى تكونت فكرة أسمى من ذلك تمثلت فى إنشاء جماعة التعليم للعمال Workers' Educational Association .

فبدلا من البحث فى تمرين العمال لرفع مستواهم من حيث النظام الصناعى أصبحت تتطلب الآن تمرين العمال والعاملات ليكونوا مواطنين أرقى حالا فى مجتمع ديمقراطى ، لأنهم أصبحوا أكثر تعليما ، وأكثر المـاما بتاريخ وسياسة واقتصاديات مجتمعهم . وأكثر معرفة بكنوز آداب اللغة وكل ثقافتها . فهذه هى سياسة تعليم البالغين كما نفهمها الآن وهى أفضل سياسة فى هذا الصدد

---

(١) مترجمة — من مجلة بريطانيا اليوم Britain to-day

وقد كانت الحركة التى سببت هـذه الفكرة الجديدة حركة اختيارية صادرة من تلقاء نفسها . ولكن سرعان ما وجدت جماعة تعليم العمال لنفسها أنصارا فحصلت على مساعدة الجامعات التى اشتركت معها فى إنشاء فصول الثقافة ذات الثلاث سنوات . وهى تسير على نمط مشابه بعض الشىء لنظام الجامعات ويقوم بالتدريس فيها مدرسون جامعيون لفائدة العمال رجالا ونساء .

وقد حصلت أيضا على مساعدة كل من الحكومة المركزية والسلطات الحكومية المحلية . حيث بدأت بمنح الإعانات لمساعدة هذه الفصول سواء ما كان منها يدار بواسطة جماعة تعليم العمال نفسها أو بمساعدة الجماعات — إذا بلغت مستوى كافيا .

وقد حصلت أيضا على مساعدة نقابات العمال فقد منحها الكثير منها إعانات ، وغير ذلك من وسائل التشجيع الأخرى .

وعلى هذا الأساس ومع هذه الشعب الواسعة الانتشار قد وضع نظام للفصول الأسبوعية . وأحسنها ما اجتمع أربعة وعشرين مرة فى أثناء فصل الشتاء . والأحسن منها جميعا ما اجتمع هذا العدد من المرات فى دراسة مستمرة فى بحر ثلاث سنوات متتابعة .

وكان يعنى فى المواد التى تتقن فى فترة الدرس أن تناسب الغرض المدنى العام من هـذه الحركة عن طريق إلقاء المحاضرات التى تعقبها المناقشات ، فكتابة المواضيع الإنشائية ، ثم القراءة المستقلة .

وتشمل البرامج دراسة التاريخ المحلى ، والأهلى ، والدولى ودراسة الاقتصاد النظرى والتاريخى جنبا إلى جنب مع السياسة النظرية . ونظام تكوين الجماعات وكذلك الأدبيات والفلسفة والعلوم الطبيعية وعلى الأخص علم الحياة وعلم النفس .

واتجاه التعليم هو فى الغالب اتجاه جامعى والروح السائدة هى الروح الجامعية الخالية من الغرض والموجهة لتحصيل العلم لمجرد المعرفة .

ومن الممكن إضافة ملاحظتين عن هـذا البيان الإجمالى فى فصول البالغين من حيث اجتماعها فى أى مكان يوجد أسبوعا فأسبوع .

أولا ليست جماعة تعليم العمال The Workero' Educational Association هى الهيئة الوحيدة المختصة بإنشاء هـذه الفصول . فهناك هيئات وجماعات اختيارية تعمل على تعليم البالغين مفضلة على العموم تأدية عملها مستقلة وبدون مساعدة الإعانات . ومن هذه الهيئات يمكننا ذكر الاتحاد الأهلى لمدارس البالغين The National Adult School Union والاتحاد التعاونى Co-operafive Union ومعاهد النساء Women's Institutes والجمعيات التعاونية للنساء Co-operative Women's GCilds .

ثانيا — وفى شكل مختلف توجد المعاهد المسائية التى يطلق عليها اسم معاهد الآداب وقد تم إنشاؤها فى لندن منذ سنة ١٩١٩ بواسطة مجلس مقاطعة لندن وهى السلطة الحكومية المحلية لدائرة لندن .

ولهذه المعاهد خاصتان ظاهرتان :

(١) فهى تخضع فى إداراتها للسلطات العمومية ولا تتبع حركة التطوع .

(٢) إن لها مبانيها التى خصصتها لها هذه الهيئات .

وهى عادة مركز ثابت ودائم (وتمتاز بزيادة التسهيلات) — يختلف فى نوعه عن المراكز المتغيرة الأخرى التى تجتمع فيها فصول جماعة العمال للتعليم والتى يتعين عليها استئجارها لنفسها وخلافا لذلك فإن الدراسة فى فصول معاهد الآداب Literary Institutes تخدم نفس الغرض من تعليم البالغين وتغذيتهم بسلسلة المعلومات المدنية العامة لولا أنها تتجه كثيرا إلى دراسة الجانب الأدبى من العلوم الأدبية .

والى هذا الحد قد اهتممنا بتعليم البالغين الذى يشغل جزءا من الوقت بواسطة فصول أسبوعية فى بعض مراكز مسائية تستأجر أو تخصص بواسطة سلطات عامة لهذا الغرض .

ولكنه من الجلى إمكان وجود نظام آخر لتعليم البالغين — ولو أنه على أساس جزء من الوقت إلا أنه مستمر نوعا ويشغل وقتا كاملا فى المراكز المدنية مثلا . وبعبارة أخرى يمكن إنشاء كليات مدنية لتعليم البالغين ومن الممكن تسميتها الكليات الشعبية A Peoqle's College يلتحق بها العمال والعاملات لمدة ثلاث أو ستة شهور ولمدة أطول ثم يعودون إلى عملهم السابق عند نهاية المدة . ولا شك أن هذا أمر ظاهر الأهمية يختلف عن الدراسة المسائية بعد انتهاء العمل اليومى فهى تعطى العمال رجالا ونساء فرصة يتمتعون فيها بفراغ مستمر يقضونها فى تنمية معارفهم ومصالحهم ولذلك فهى تستحق درسا عميقا .

ويوجد فعلا عدد من هذه الكليات المحلية بعضها للرجال والبعض الآخر للنساء . ومن أقدمها كلية رسكن Ruskin College بمدينة إكسفورد (وهى ليست إحدى كليات جامعة إكسفورد) ويرجع تاريخ إنشائها إلى أربعين عاما . ثم قامت بعدها كلية هارلش Harlech College التى أسسها الدكتور توماس جونس Dr. Thomas Jones ونيوباتل آبى فى إسكتلندا Newbattle Abbey ويرجع الفضل فى إنشائها إلى المرحوم مركيز لوثيان Marquis Lothian

وكذلك توجد كليات أخرى مثل فيركروفت Fircroft وهل كروفت Hillcroft ولكنها لاتزيد فى عددها عن عشرة وهى لا تتسع إلا لعدد قليل . فهل من الممكن توسيعها وتعميمها؟

إن الإجابة على هذا السؤال يبدو كلم من الأحلام ولكنه حلم بدأ الكثير فى رعيته ومن المحتمل أن يصبح حقيقة واقعة .

إنه حلم الكليات الشعبية المنتشرة فى كل أنحاء المملكة حيث توجد كلية فى كل مقاطعة وربما أكثر من ذلك فى المقاطعات الأكثر ازدحاما بالسكان يمكن للبالغين من الرجال والنساء الالتحاق بها إما قبل الزواج والاهتمام بالشؤون العائلية أو بعد ذلك عندما تزول أو يخف ذلك الاهتمام ليتمتعوا بدراسة كاملة لمدة ثلاثة شهور أو لستة شهور (وفى بعض الأحوال لمدة سنة) فى صحبة زملائهم على أن يتدبروا من عملهم لهذه المدة مع تعهد وتأكيد بارجاعهم إلى وظائفهم السابقة عند عودتهم . ومن الممكن مساعدتهم فى ذلك ولكن عليهم اقتصاد مبالغ صغيرة تعينهم فى الحصول على هذه الفرصة .

ويلزمهم كذلك مدرسون أكفاء . ومحل إقامة مناسب فى وسط صحى حسن وذخيرة كافية من الكتب اللازمة للدراسة وغير ذلك من التسهيلات الأخرى .

وكيف يمكن تحقيق ذلك ؟ من الممكن تحقيق ذلك بطرق مختلفة تتبع فى آن واحد . فيمكن للهيئات الاختيارية Voluntary Bodies أن تنشئ وتدير كليات على نفس الأساس الذى تتبعه المدارس الشعبية العليا الدانيمركية (هذه هى الطريقة المتبعة فى الكليات المدنية الانجليزية لتعليم البالغين الموجودة الآن) ومن الممكن مساعدتها على تحقيق ذلك بالاعلانات التى تمنح لها من السلطات المحلية التعليمية ومجلس التعليم أو من الأخير .

وإضافة لذلك فيمكن لسلطات التعليمية المحلية وحتى الحكومة نفسها أن تنشىء الكليات الشعبية على أن تترك أمر إدارتها بقدر ما يمكنها إلى الهيئات الاختيارية لتشجيع حرية وتنوع التجربة .

ولنا الآن أن ندعو إلى ما يشابه الجامعات الانجليزية بالنسبة للطلبة الذين يخصصون جميع وقتهم للدرس وذلك بانشاء جامعات تساعدها الحكومة والهيئات التعليمية المحلية على أن يكون لكل منها حرية فى كل شؤون إدارتها وتقدمها الداخلى .

ومهما اختلفت الخطة المتخذة ، فيجب أن تكون الروح السائدة فى الكليات المدنية التى يلتحق بها هؤلاء البالغون من الرجال والنساء من روح الاعتماد على النفس فى الإدارة وفى التقدم توافق سنهم وتجاربهم فى الحياة وخلق المجتمع الديموقراطى الذى انحدروا منه .

ويمكن إضافة ملاحظة أخيرة وبسيطة بخصوص الكليات الشعبية فستزداد مصاعب ملاكها فى صيانة المنازل الريفية والدور المنتشرة فى أنحاء هذه الجزيرة . وأى شيء أفضل من تصورنا استعمالها مقرا للكليات الشعبية حيث تبدأ حياتها فى وسط من الجمال والتقاليد القديمة وقد بدأ حزب المحافظين — من سنين مضت — بانشاء كلية مركزية لأعضائه فى منزل ريفى جميل وقد نجحت هذه الكلية . وما أمكن عمله لحزب يمكن عمله للشعب .

ولن تحل الكليات الشعبية وحدها مشكلة تعليم البالغين كلها فربما يستمر الجزء الأكبر من تعليم البالغين على أساس جزء من الوقت فى الفصول الأسبوعية . وهذا أيضا يتطلب ما يناسبه وفى الغالب تكون فصول الدراسة فى حاجة الى تهيئة المكان اللازم للاجتماع . ومن الممكن أن تحتوى الكليات الشعبية عند تعميم إنشائها على غرف إضافية للحاضرات وغرف للدرس لاستعمال الفصول الأسبوعية التى يحضرها أعضاء من الجهات المجاورة .

وهناك حاجة أيضا لإيجاد كليات أو معاهد أو محلات غير مركزية يمكن أن تستعمل كمراكز (وخصوصا فى الأقاليم المزدحمة بالسكان) تعقد فيها الفصول الأسبوعية كما يمكن استخدامها فى تقدم بعض شؤون الحياة العامة بين أعضائها .

وقد عمل فعلا بعض الشىء فى ذلك الاتجاه . وقد سبق أن أشرنا الى معاهد الآداب والعلوم التابعة لمجلس مقاطعة لندن . ويمكننا ذكر الكليات غير المركزية التى أنشئت وأديرت بواسطة الهيئات الاختيارية مثل كليات العمل بلندن وما شابهها من الكليات والمعاهد فى المدن الكبيرة الأخرى .

وما يحتاج اليه خاصة لإعداد موطن حقيق للفصول الأسبوعية هو تعميم انتشار الكليات الاختيارية غير المركزية بمساعدة إعانات الحكومة والسلطات المحلية للتعليم .

قال حكيم :

ستة يجب ألا تستشيرهم فى أمور الدنيا :

جاهل يستطيل ، عدو يتمنى لك الهلاك ، حسود يرغب فى زوال النعمة ، مراءى يتقلب مع مقول الناس ، جبان عند الحاجة ، بخيل لا يجود عند السؤال ، ذو هوى لأنه أسير هواه .